مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الرابع والثلاثون/ رجب - رمضان ١٤٣١هـ . يوليو - سبتمبر ٢٠١٠م

٣٤

- الآثار الدينية والسياسية لغزوة الخندق . دراسة تاريخية تحليلية
- نسخ القرآن الكريم المخطوطة والموقوفة في مكتبة الشيخ عارف حكمت
- صرة الحرمين الشريفين
- مكتبة الحرم النبوي . لمحات من التاريخ والحاضر .

الآثار الدينية والسياسية لغزوة الأحزاب

دراسة تاريخية تحليلية

د. محمد عامر مظاهري

أستاذ مساعد بجامعة الجوف

الحمد لله وحده، نصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على نبي الهدى وخير الورى، محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان. أما بعد:

غزوة الأحزاب وهي غزوة الخندق:

وقعت غزوة الأحزاب في شهر شوال سنة خمس للهجرة، وكان سببها أن نفراً من يهود بني النضير حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فقدموا على قريش، ثم أتوا غطفان، فأجابوهم، فخرجت قريش وغطفان تحت قيادة أبي سفيان بن حرب، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أمر بحفر الخندق، فأقبلت قريش ونزلت بين الجرف وزغابة، ونزلت غطفان إلى جنب أحُد، وكانوا جميعاً عشرة آلاف، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فجعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف، ورفع الذراري والنساء في الآطام، وأتى حيي بن أخطب النضري إلى كعب بن أسد سيد قريظة وكان قد وادع رسول الله على قومه، فلم يزل به يفتله حتى حمله على الغدر، وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين واشتد الخوف، وأقام رسول الله ﷺ والمشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة، ولم يكن بينهم حرب

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إلا الرمي بالنبل، فلما اشتد البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى غطفان ليصالحها على ثلث ثمار المدينة، ولكن الأنصار منعوه وفضّلوا الموت بشرف، ثم بعث الرسول ﷺ نعيم بن مسعود ليوقع الخلاف بين قريظة والأحزاب، فوقع الاختلاف ولم يجتمعوا على المسلمين، ثم بعث الله ريحاً شديدة البرد فجعلت تكفأ قدور الأحزاب وتطرح أبنيتهم، حتى نادى أبو سفيان: والله لقد هلك الخف والحافر، وأخلفتنا قريظة، ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين إلى بلادهم، فلما عادوا قال رسول الله ﷺ: « الآن نغزوهم ولا يغزونا »[1].

الآثار المترتبة على غزوة الأحزاب

ترتبت آثار دينية كثيرة على غزوة الأحزاب، منها ما كانت داخل المجتمع الإيماني في المدينة المنورة، ومنها ما كان خارج مجتمع المدينة المنورة في الأوساط الوثنية من القبائل العربية، وفيما يلي عرض لهذه الآثار:

الآثار الدينية داخل المجتمع المدني.

١- تعمّق الإيمان في نفوس المؤمنين من صحابة الرسول الكريم ﷺ، وذلك إثر الهزيمة القاسية التي أنزلها الله تعالى وحده على الجيوش الكافرة التي احتشدت لمحاربة الإسلام واستئصال شأفته، إذ علم جميع المؤمنين أنّ هذه الهزيمة المريرة لم تكن سوى من عند الله وحده، ولم تكن بعض الأسباب التي هيّأها الله تعالى لهذه الهزيمة سوى أسباب ثانوية، لم تلعب الدور الأساس في نزول الهزيمة التي ردّت جيوش الشرك

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٧٠-٧٤ (مع تصرّف).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

على أعقابها.

نعم! لقد كان حفر الخندق[١] على المداخل الشمالية من المدينة المنورة أحد الأسباب الأساسية التي منعت الأحزاب المجتمعة من اقتحام المدينة طوال فترة مكوثها في مواجهة الجيش الإسلامي من وراء الخندق؛ ولكنّه لم يكن السبب الأساس في نزول الهزيمة، وإن اتخذ بعض شعراء الشرك من الخندق عذراً لهزيمتهم النكراء في أقوالهم التالية:

حيث قال ضِرار بن الخطاب بن مرداس الفهري:

فلو لا خَندقٌ كانوا لَدَيهِ لَدَمّرْنا عليهم أجمعينا

ولكن حال دونهمُ وكانوا بِهِ من خَوفنا متعوّذينَا[٢]

وقال عبد الله بن الزَبعري السهمي:

لولا الخنادق غادروا من جَمعِهِمْ قَتلَى لِطَيرٍ سُغَّبٍ وذئابِ[٣]

كما أنّ الفتنة التي دُسّت بواسطة نُعَيم بن مسعود الغطفاني[٤] بين يهود

---

(١) لقد كان حفر الخندق أمراً لم تألفه العرب من قبل، وتقول بعض الروايات: إن الذي أشار بذلك على النبي ﷺ هو الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث نقل إلى المسلمين أسلوباً من أساليب الدفاع العسكري المعهود عند الفرس، وبناءً عليه ضرب الرسول ﷺ هذا الخندق الذي امتدّ من أجمة الشيخين (شمال تقاطع طريق الدائري الأوسط مع شارع أبي ذر حالياً) في شمال شرق المدينة إلى أطم مذاد (تل بين مصانع الحيدري للتمور والدائري الأوسط حالياً) في شمال غرب المدينة الآن. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٧٠.

(٢) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٣١٧.

(٣) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٣٢١.

(٤) هو: نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع يكنى أبا سلمة الأشجعي، صحابي مشهور له ذكر في البخاري، أسلم ليالي الخندق، وله رواية عن النبي ﷺ، روى عنه ولداه سلمة وزينب، قتل في أول خلافة علي رضي الله عنه قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل، وقيل: مات في خلافة عثمان رضي الله عنه، والله أعلم. انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٤٦١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بني قريظة والمشركين بعد أن كادت بنو قريظة أن تغدر بالمسلمين وتقيم عليهم جبهة داخلية[١]؛ لم تكن سبباً أساسياً للهزيمة، وإنما كانت سبباً في كفّ بأس اليهود عن المسلمين، وإسكات الفتنة الداخلية التي أراد اليهود تدبيرها، وقد كان إسلام نعيم بن مسعود نفسه في تلك اللحظة الحرجة نصراً من عند الله تعالى، لأنّ هذا الصحابي لو أسلم من قبل أو انتشر خبر إسلامه بين المشركين؛ لما كان له أن ينجح في بث الفتنة التي قام بها بمشورة من النبي ﷺ نفسه[٢].

فالنصر المبين الذي منّ الله تعالى به على المؤمنين في غزوة الخندق؛ عمّق الإيمان في قلوب هذه الفئة المؤمنة بأنّ الله تعالى غالبٌ على أمره، وأنه إن ينصر أحداً فلا غالب له، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم حيث قال ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٩. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٦.

(٢) وخبر نُعَيم بن مسعود من الأخبار المضطربة المذكورة في السيرة النبوية المطهرة، فهو يُذكر على وجهين بشكل عام: فيُذكر أولاً على أن نعيماً قدم إلى النبي ﷺ وأخبره عن إسلامه وعدم معرفة المشركين بأمر هذا التحول، ثم عرض نفسه على الرسول ﷺ للقيام بعمل مّا، فاستعمله الرسول ﷺ لإيقاع الفتنة بين قريظة والمشركين، وهذه الرواية ذكرها أصحاب السير والمغازي من أمثال ابن إسحاق وابن سعد (من غير ذكر الأسانيد على عادتهم). انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ص٦٩. أ.هـ. ثانياً: يُذكر الخبر على أن نعيماً كان رجلاً مصدقاً لدى الفريقين، وكان لا يستطيع كتمان خبر يسمعه، فنقل للرسول ﷺ خبر مؤامرة قريظة؛ فقال له ﷺ: « لعلّنا أمرناهم بذلك »، فنقل نعيم هذه الكلمة إلى المشركين فارتابوا في أمر قريظة ولم يأمنوهم، وقد ساق هذا الخبر بعض المحدّثين بسند منقطع أو مرسل. انظر: عبدالرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ج٥، ص٣٦٨-٣٦٩. أ.هـ. وفي هذه الرواية أمر ينكره النقل والعقل، ألا وهو أن أبا سفيان أعلن عن الرحيل فور ارتيابه، وأن الريح التي أرسلها الله على الأحزاب جاءت بعد إعلانه هذا.. وهذا أمر مخالف لما ثبت في القرآن والأحاديث الصحيحة أن الله أوقع الهزيمة بالريح والجنود الذين لا يُرون. ولذا فإن جميع الروايات في هذا الباب ضعيفة بميزان منهج النقد عند المحدّثين، ولكن الروايات التي تذكر عرض نعيم نفسه هي المعتمدة لدى أصحاب السير الذين شهد لهم الأقدمون بالخير. والله أعلم.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، ولهذا السبب كان رسول الله ﷺ يردّد عند عودته من عمراته وحجته وغزواته بعد غزوة الأحزاب: «صَدَقَ اللَّه وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ »[2].

٢- سيادة الإسلام على المجتمع المدني سيادة كاملة، وذلك بعد أن تمّ محاسبة يهود بني قريظة على خيانتهم لرسول الله ﷺ والمسلمين أثناء غزوة الخندق بقتل الرجال البالغين منهم، وسبي نسائهم وذريّاتهم، وبيعهم في قبائل العرب[3]، وقد كان بنو قريظة يمثلون التجمّع اليهودي الأكبر في يثرب[4] بعد بني النضير وبني قينقاع، فأما بنو النضير فقد تمّ نفيهم من المدينة إلى خيبر في السنة الرابعة من الهجرة جزاء تآمرهم لقتل النبي ﷺ[5]، وأما بنو قينقاع؛ فقد تم إجلاؤهم إلى الشام في السنة الثانية من الهجرة إثر نقضهم العهد وتطاولهم على المسلمين والاستخفاف بأعراضهم وقتلهم رجلاً مسلماً في سوقهم[6]، وهكذا؛ لم تبق في المدينة المنورة بعد غزوة الأحزاب

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٢) وذلك في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه حيث قال: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا قَفَلَ من غَزْوٍ أو حَجٍّ أو عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ على كل شَرَفٍ من الأرض ثَلاثَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ يقول: لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّه وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ ». انظر: البخاري، الجامع الصحيح، ج٥، ص٢٣٤٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٥-١٠٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٧٥-٧٧.

(٤) لقد كان في يثرب تجمعات يهودية عند هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إليها، وأكبر هذه التجمعات كانت ثلاثة تجمعات هي: يهود بني قريظة، ويهود بني النضير، ويهود بني قينقاع، وكان عدد أفراد كل قبيلة من هذه القبائل اليهودية يبلغ ما بين ألف إلى ثلاثة آلاف تقريباً، وكان تواجد اليهود في المدينة يمتدّ إلى القبائل العربية أيضاً كبني عوف وبني الأوس، غير أن هؤلاء كانوا قلة ممزوجة في الأكثرية العربية. انظر للاستفادة: ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٢، ص١٤٨-١٥٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٥١٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٥٧-٥٩. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٨٣ -٨٦.

(٦)جاءت امرأة نزيعة من العرب تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع، فجلست عند صائغ في حلي لها، =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

طائفة أو جماعة غير مسلمة، على الرغم من بقاء المنافقين وأفراد من اليهود، وهذه الحالة الجديدة أبرزت المدينة بصفتها مجتمعاً إسلامياً خالصاً لا تتواجد به أقليات غير إسلامية في شكل جماعات أو جاليات لها اعتبار يُذكَر.

الآثار الدينية خارج المجتمع المدني.

١- اعتراف قريش – وجميع العرب تبعاً لها – بديانة الإسلام بصفتها ديانةً موجودةً ومنافسةً على خارطة الجزيرة العربية، ولها أهلها ومتطلّباتها من العمرة والحج إلى البيت الحرام، وذلك من خلال رضوخهم للصلح في الحديبية بعد عام واحد من غزوة الأحزاب[(١)]، حيث تضمّن هذا الصلح العظيم الإذن للمسلمين بأداء العمرة في العام القادم، كما تضمّن نصّ الصلح أنه مَن دخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل[(٢)]، وهذان الأمران فيهما

=

فجاء رجل من يهود قينقاع فجلس من ورائها ولا تشعر فحلّ درعها إلى ظهرها بشوكة فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها. فقام إليه رجل من المسلمين فاتبعه فقتله فاجتمعت بنو قينقاع، وتحايشوا فقتلوا الرجل ونبذوا العهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحاربوا، وتحصنوا في حصنهم.

مغازي الواقدي (١/١٧٦).

(١) وكان صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة على الأرجح. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٩٥. خليفة بن خياط، كتاب التاريخ، ج١، ص٨١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١١٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص١٦٤.

(٢) فقد جاء في نص الصلح ما يلي:

« باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله سهيلَ بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم ترده عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً وأن معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، لا تدخلها بغير هذا ». ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٤١٦-

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اعتراف واضح بالديانة الإسلامية وإن لم يتم التصريح باسم (الإسلام) أو بمكانة (النبي) أو (رسول الله).

فقد تواترت الأخبار بأن النبي ﷺ أمر علياً رضي الله عنه أن يكتب الصلح مع سهيل بن عمرو – موفد قريش – فقال: « اكتب: هذا ما صالح عليه محمدٌ رسولُ الله سهيلَ بن عمرو »، فقال سهيل: « لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك»، فأمر رسول الله ﷺ علياً بأن يمحو لفظ (رسول الله) ويكتب مكانه محمد بن عبدالله[1]، وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يقف عند الكلمات، ولم يتشبث بالألفاظ، وإنما كان يهدف إلى تحقيق ما وراء هذا الصلح من المعاني العظيمة التي وضعت الديانة الإسلامية في مصاف الديانات المعترف بها في الجزيرة العربية، ووضعت أصحاب هذه الديانة في مكانة يحسب لها حسابها، حتى أنّ قريشاً – وهي على قمة الهرم من القبائل العربية – تضطرّ إلى عقد صلح مع زعيم هذه الأمة الوليدة وأبنائها بدلاً من الاستمرار في محاربتها ونصب العداء لها، وهذا الصلح كان مصداقاً لتنبؤ رسول الله ﷺ في نهاية غزوة الأحزاب عندما قال وهو ينظر إلى فلول القبائل العربية تغادر المدينة وهي تجر أذيال الهزيمة التي أنزلها الله تعالى عليهم: « لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم »[2].

٢- توقّع عمرو بن العاص والنجاشي ظهور الإسلام بعد غزوة الخندق،

=

٤١٨. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٩٧.الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٢٢-١٢٣.

(١) ابن حبان البستي، الصحيح، ج١١، ص٢١٤. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص١٦٦. البيهقي، السنن الكبرى، ج٥، ص٦٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٠٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص١١٥ واللفظ له.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فقد جمع عمرو بن العاص – وهو يومئذٍ على الشرك – رجالاً من قريش كانوا يرون رأيه ويسمعون منه، فقال لهم: « تعلموا، والله إنّي أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً.. »[(١)]، ثم عرض عليهم فكرة الخروج إلى النجاشي – ملك الحبشة – حتى يتربصوا بالأمر من بعيد، وفي الحبشة قال له النجاشي: « ويحك يا عمرو أطعني واتبعه (يعني: اتبع محمداً ﷺ)، فإنه والله لعلى الحقّ، ولَيظهرَنّ على مَن خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده »[(٢)].

وعمرو بن العاص هو أحد دهاة العرب في زمانه[(٣)]، وقد قرأ مستقبل الإسلام في آفاق المدينة المنورة حين انهزمت قريش في غزوة الأحزاب وولّت قافلة إلى مكة، وولّت غطفان بعدها إلى بلادها خائبةً، فكانت غزوة الأحزاب غزوةً حاسمةً من الناحية الدينية، جعلت العرب قاطبةً – قبائلها وأشرافها ودهاتها – يعترفون ويتوقعون ظهور الإسلام بعدها على سائر الديانات والقبائل العربية في الجزيرة.

الآثار السياسية المترتبة على غزوة الأحزاب

وعلى غرار الآثار الدينية؛ ترتبت آثار سياسية كثيرة على غزوة الأحزاب، منها ما كانت داخل المجتمع الإيماني في المدينة المنورة، ومنها ما كان خارج مجتمع المدينة المنورة في الأوساط السياسية بين القبائل العربية والدول المجاورة للجزيرة

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٤٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٢٣٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٩.

(٢) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٣٥٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٢٣٦.

(٣) قال مجالد عن الشعبي قال: « دهاة العرب أربعة: معاوية وعمرو والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه، فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادرة، وأما زياد بن أبيه فللصغير والكبير ». انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٧٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١، ص٢٠٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العربية، وفيما يلي عرض لهذه الآثار:

الآثار السياسية داخل المجتمع المدني.

١- خلوّ الساحة الداخلية من أعداء الدولة المسلّحين الذين كان لهم شأن وقوة عسكرية يحسَب لها حسابها، وأعني بهذه القوة قوة اليهود الذين مثّلوا أكبر خطر داخلي على الدولة الإسلامية الوليدة في ربوع يثرب منذ هجرة النبي ﷺ إليها[1]، فكما سبق ذكره في الآثار الدينية؛ تمّ تصفية الجماعات اليهودية الكبرى من المدينة المنورة في الفترة ما بين العام الثاني من الهجرة ونهاية العام الخامس منها، وقد وفّق الله تعالى رسوله ﷺ وأصحابه إلى هذه التصفية نظراً لخطورة الدور الذي لعبته اليهود بصفتهم أقلية قوية ذات نفوذ وفعالية موجهة – باستمرار - ضدّ الأكثرية التي تكونت منها الدولة الإسلامية في يثرب، والقضاء على آخر المعاقل اليهودية القوية داخل حدود المدينة المنورة بعد غزوة الأحزاب – وأعني بذلك القضاء على بني قريظة -؛

(١) لقد مثلت الجماعات اليهودية أكبر خطر داخلي على الدولة الإسلامية؛ لأنها كانت جماعات ذات آيدلوجية مستقلة لم تقبل بالإسلام ديناً ولا بالرسول محمد ﷺ نبياً لها، وكانت جماعات مسلحة متدربة تدريباً عسكرياً جيداً، وهذا الاختلاف الآيدلوجي والغطرسة العسكرية أدت بهذه الجماعات إلى نقض العهد الذي أبرمه زعيم الدولة الإسلامية ﷺ مراراً، وكان رسول الله ﷺ يحلم عن هذه النقائض في كل مرة إلاّ عندما يمسّ الأمر بأمن الدولة وسلامة مواطنيها، ولذلك نراه يعفو عن اليهود عندما يثيرون فتنةً بين الأوس والخزرج حتى يصطفا صفين متقابلين بأيدهم السلاح، فيأتي رسول الله ﷺ ويقرأ عليهم ما أنزله الله عليه من الآيات الكريمات من سورة آل عمران، ولكننا نراه ﷺ لا يتردّد لحظة في معاقبة اليهود بكل حزم عندما ينقضون العهد الأمني مع المسلمين في أحلك الظروف التي لم ينجُ منها المسلمون إلاّ بفضل الله، فنراه ﷺ يستأصل شأفة بني قينقاع بعدما تطاولوا على المسلمين وقتلوا أحدهم، ويجلي بني النضير بعد أحد، ويقضي على بني قريظة بعد الأحزاب، ولكنه ﷺ يعود فيلطف باليهود ويؤمنهم على أنفسهم وأموالهم بعد القضاء على محور شرّهم في خيبر، فيوادع يهود تيماء ويهود اليمن والبحرين، وذلك لأنّ هؤلاء اليهود لم يبادروه بأذى. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص١٥٥-١٥٦. محمد حميد الله، اليهود، دائرة المعارف الإسلامية باللغة الأردية، ج٢٣، ص٣٥٩-٣٦٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أوجد للدولة الإسلامية مناخاً سائغاً لقيام وحدةٍ دينية وسياسية على سواء، والتي بدورها هيّأت أسباب الاستقرار الداخلي للدولة الفتية رغم وجود المنافقين وبقاء أفراد من اليهود في المدينة المنورة يعيشون مسالمين.

٢- بروز المدينة المنورة بصفتها عاصمةً للدولة الجديدة، وذلك بعد نجاح رسول الإسلام وأصحابه في الدفاع عن حدود هذه العاصمة الجغرافية بكل بسالة واقتدار، وبخُطط عسكرية وسياسية فذّة لم تعرفها العرب ولم تألفها من قبل، ولعلّنا نلحظ – عند استعراض التاريخ – أنّ المدينة أو يثرب لم تكن مقصودةً بعينها في هجمات قريش قبل غزوة الأحزاب، ولكنّها باتت هدفاً مقصوداً للمشركين كافةً في غزوة الأحزاب، فقد وقعت غزوة بدر الكبرى بعيداً عن المدينة المنورة، ولم يكن هدف مشركي قريش من تلك الغزوة سوى معاقبة المسلمين على جرأتهم على اعتراض عيرهم القادم من الشام، وهذا ما عبّر عنه أبو جهل بن هشام بقوله المتغطرس: « والله لا نرجع حتى نَرِد بدراً، فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجُزر، ونطعم الطعام ونسقي الخمر، وتعزف القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها »[١].

وأما غزوة أحد؛ فلم تكن إلا انتقاماً لهزيمة قريش في بدر، وهذا واضح جليّ من أشعار كل من هند بنت عتبة[٢]، وهُبيرة بن أبي وهب بن مخزوم[٣]، وعبد الله بن الزبعري[٤]، وضرار بن الخطاب الفِهري[٥]، وعمرو بن

(١) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٣٠٠-٣٠١.

(٢) ابن هشام، ج٣، ص٤٦ و ١٥٥.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٨.

(٤) المصدر السابق، ص١١٤-١١٧ و ١٢١-١٢٣ و ١٥٣.

(٥) المصدر السابق، ص١٢٠-١٢١ و ١٢٦-١٢٧ و ١٢٧-١٢٨ و ١٥٠-١٥٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العاص[١]، وهؤلاء هم الذين أنشدوا يوم أحد من جانب مشركي قريش، وكانت قصائدهم كلها تدور حول الثأر لقتلاهم يوم بدر، وإبداء السرور والفخر بمقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عمّ النبي ﷺ ومصعب بن عمير رضي الله عنه، والانتقام من الأوس والخزرج لنصرتهم للرسول ﷺ وأصحابه يوم بدر، ولم يرد في أشعارهم التي أوردها ابن هشام بالتفصيل أيّ ذكر للمدينة – صريحاً – ولا ما يوحي بأنها كانت مستهدفة من هجوم قريش، وممّا يمكن الاستدلال به على أنّ قريشاً لم تكن تستهدف المدينة ذاتها في غزوة أحد؛ رجوعها قافلةً إلى مكة بعد نهاية المعركة قبل أن ينزل الرسول الكريم ﷺ إلى أرض المعركة من جديد ويلمّ شمل المسلمين بعد المصيبة التي أصابتهم[٢].

وأما غزوة الخندق؛ فقد كان العرب المشركون من قريش وغطفان بإيعاز من يهود خيبر يريدون عاصمة الإسلام وخرابها واستئصال شأفة الأمة الواعدة التي اتخذتها عاصمة لدولتهم الأولى، وهذه النية أو هذا القصد لم يكن خافياً على النبي ﷺ وأصحابه، وحفر الخندق حول المدينة المنورة يدلّ على ذلك بكل جلاء ووضوح، لأنّ الهدف من حفر الخندق كان الدفاع عن أرواح المسلمين وممتلكاتهم فيها.

كما أنّ إرادة اليهود وقريش وأعوانهم استئصال شأفة الرسول ﷺ

---

(١) المصدر السابق، ص١٢٥-١٢٦ و ١٢٨-١٢٩.

(٢) فبعد نهاية المعركة على الفور انصرف أبو سفيان ومن معه وقال: «إن موعدكم العام المقبل»، ثم بعث رسولُ الله علياً في آثرهم وقال: «انظر، فإن جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأناجزنهم» قال علي: فخرجت في آثرهم فامتطوا الإبل وجنبوا الخيل يريدون مكة، فأقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم، وكان رسول الله أمره بالكتمان. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٣٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأصحابه[١]، يستلزم منها اقتحام المدينة وإبادة مَن بها من المسلمين ونسائهم وذراريهم، وكل هذه الأمور تؤكّد وجود نية وإصرار لدى قريش واليهود وغطفان وأعوانهم من العرب على النيل من المدينة المنورة من خلال هجومهم عليها في غزوة الأحزاب، كما تؤكّد – في الوقت نفسه – نجاح الرسول ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم بكل المقاييس في الذود عن عاصمتهم وديارهم حتى ارتدّت جيوش الكفر خائبةً بعد أن أرسل الله تعالى عليهم ريحاً وجنوداً لا يُرون...

جاءت سَخيمةُ كَي تُغالِبَ ربَّها فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاّبِ[٢]

٣- بروز مكانة الرسول ﷺ كقائد سياسي محنّك، بالإضافة إلى كونه صاحب الرسالة الخاتمة، إذ استعمل ﷺ في غزوة الأحزاب ما لا تُحصى من التدابير السياسية والدفاعية والتي كان من شأنها تفريق شمل الأحزاب، وعدم التمكين للتحالفات الأخرى أن ترى النور.

فقد بادر عليه الصلاة والسلام بأخذ التدابير العسكرية اللازمة للدفاع عن حدود المدينة المنورة بضرب الخندق حولها من جهة الشمال والغرب، وقام بتوزيع الأدوار في عملية الحفر توزيعاً متقناً منصفاً، وشارك فيها بنفسه الشريفة؛ رفعاً لمعنويات الصحابة حتى تمّ إنجاز هذا العمل

(١) فقد كان يهود بني النضير وبني وائل هم المحرضين الأساسيين لقريش وغطفان وغيرهما على محاربة رسول الله ﷺ في العام الخامس من الهجرة، ولذلك أتى وفد منهم إلى قريش وقال لهم: «إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله». الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٧٠. وكذلك قال زعيم بني النضير لزعيم بني قريظة وهو يحرّضه على نقض العهد والانقلاب على النبي ﷺ وأصحابه: «جئتك بقريش وقادتها وسادتها، وغطفان بقادتها، وقد عاهدوني أنهم لا يبرحون حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه». انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٧١.

(٢) قائل البيت هو الصحابي كعب بن مالك رضي الله عنه. و (سَخيمة): لقب قريش في الجاهلية، وأصل السخيمة: طعام من الدقيق واللحم كانت تقدّمه للحجاج. انظر: ابن هشام، سيرة النبيﷺ، ج٣، ص٣٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشاق في ستة أيام فقط[١].

وبعد أن طالت مواجهة المسلمين لجيوش الشرك، واشتدّ الأمر عليهم، أرسل الرسول ﷺ إلى قائدي غطفان[٢] ليغريهما بما أغرتهم به يهود خيبر[٣] حتى يرجعا بجيوشهما من المدينة وتنكسر شوكة المشركين بتفرق شمل الأحزاب[٤]. وهذا التفاوض أثناء دوران رحى المعركة وإحراز تقدّم فيه يدلّ على مهارة الرسول ﷺ السياسية الفائقة[٥]، حيث لم يفاوض القوم إلاّ على شيء يحبونه دفعهم إلى الخروج عليه، فردّهم عن حربه بتقديم الشيء نفسه لهم.

وعندما لاحت بوادر خيانة بني قريظة ونقضهم العهد؛ أرسل ﷺ صحابياً كان حديث العهد بالإسلام، وكان قد كتم إسلامه عن قومه والآخرين[٦]، ومع هذا كان معروفاً بالدهاء في إيقاع الفتن بين الفِرق

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٦-٦٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٧٠-٧١.

(٢) وهما: عُيَينة بن حِصن بن حذيفة، والحارث بن عوف بن أبي الحارثة. انظر: ابن هشام، سيرة النبيﷺ، ج٣، ص٢٦٦.

(٣) ذكر محمد بن عمر الواقدي أن يهود خيبر من بني النضير دفعت لقبائل غطفان نصف ثمار خيبر مقابل انضمامها في التحالف ضدّ رسول الله ﷺ مع قريش وحلفائها. انظر: كتاب المغازي، تحقيق: مارسيدن جونز، ص٣٦٢.

(٤) فقد ذكرت بعض كتب التاريخ والحديث أن رسول الله ﷺ فاوض القائدين على ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بجيشيهما عن المدينة، وكتب معهما صلحاً على ذلك ولم يوثق الوثيقة، ثم استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما، فلم يرضيا بذلك، فسرّ رسول الله ﷺ لموقفهما الشجاع ولم يستمر في الصلح. انظر: ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٢٦٦-٢٦٧. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٧٢. البيهقي، معرفة السنن والآثار، ج٧، ص١٥١.

(٥) وجدير بالذكر أن هذه المبادرة كانت من النبي ﷺ دون أن يأتيه وحي بذلك، وهذا ما يمكن استنباطه من جوابه عن سؤال السعدين رضي الله عنهما: « يا رسول الله،... أشيئاً أمرك الله به؟. أم شيئاً تصنعه لنا؟» فقال: « بل شيء أصنعه لكم». ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٢٦٧.

(٦) وهو: الصحابي الجليل نُعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي الغطفاني، وقد أتى رسول الله ﷺ وقال له: يا =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المتحاربة[١]، ولا شك أن إسلام هذا الرجل في مثل هذه الظروف كان فضلاً من الله تعالى وحده، ولكنّ استعماله من جانب الرسول ﷺ يُعدّ مهارةً سياسيةً للرسول الكريم ﷺ، إذ أرسله ﷺ لإيقاع التفرقة بين العناصر الأساسية التي تحزبت ضدّ المسلمين، وخاصةً لإيقاع التصدّع في موقف بني قريظة التي تحالفت مع الأحزاب للتوّ، فقام هذا الصحابي – وبمشورةٍ وتخطيط من رسول الله ﷺ نفسه – بدسّ الفتنة بين القوم متقمصاً شخصية ناصح أمين، حتى وقع في نفوس بني قريظة تجاه قريش وغطفان الشكوك والريبة، وكذلك حصل في نفوس قريش وغطفان تجاه بني قريظة، وكانت النتيجة كما أرادها رسول الله ﷺ؛ أن لا يتم التحالف بين قريش وبني قريظة حتى لا تنقلب بنو قريظة جبهةً داخليةً ضدّ المسلمين في وقت يتربص الأعداء بهم من الطرف الآخر للخندق الفاصل[٢].

=

رسول الله، إني قد أسلمتُ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرْني بما شئتَ، فقال رسول اللهﷺ : « إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ، فخذِّلْ عنّا إن استطعتَ، فإنّ الحرب خُدعةٌ ». انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص١١١. وانظر كذلك: الطبري، تهذيب الآثار، مسند علي رضي الله عنه، ج٣، ص١٣٠.

(١) فهو الرجل نفسه الذي اختاره أبو سفيان بن حرب ليخذل المسلمين عن موعده عند بدر الصفراء بعد غزوة أحد، وقصته كالتالي: لما أراد أبو سفيان بن حرب أن ينصرف يوم أحد نادى: بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقي بها فنقتتل، ثم رجعت قريش، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج، وقدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة فقال له أبو سفيان: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي ببدر، ... وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج فيجترئ علينا، فنجعل لك عشرين فريضة يضمنها لك سهيل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتخذل أصحاب محمد، قال: نعم، ففعلوا وحملوه على بعير فأسرع السير فقدم المدينة فأخبرهم بجمع أبي سفيان لهم وما معه من العدة والسلاح، فقال رسول اللهﷺ : « والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد ». انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٥٩.

(٢) فقد قال نعيم بن مسعود رضي الله عنه لبني قريظة: إنّ قريشاً وغطفان تريدان استعمالكم كدروع، فهما يستطيعان الفرار في أي لحظة تنقلب فيها الحرب لصالح محمد وأصحابه، أما أنتم فلا تستطيعون الفرار عن دياركم بالمدينة، ولذلك أقترح أن تأخذوا من قريش وغطفان بعض أعيانهم رهينة لديكم، فإن نلتم من =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني: الآثار السياسية خارج المجتمع المدني.

١- وضوح السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، فقد تحددت – بعد غزوة الخندق – الفئات الثلاثة الأساسية التي كانت تحمل لواء العداوة الشديدة للإسلام وحاولت على الدوام النيل من الدين الجديد وأتباعه بالمدينة المنورة، وهذه الفئات الثلاثة هي: قريش، وبعض الجماعات اليهودية المسلحة، وبعض قبائل العرب النجدية وعلى رأسها غطفان[(١)].

فوضع رسول الله ﷺ – بعد غزوة الأحزاب – خطةً إستراتيجيةً تهدف إلى ضرب هذه المخاطر الثلاثة وردعها ردعاً مؤبداً، فخرج بعد عام يريد العمرة ليوقف خطر المشركين ويرغمها على الاعتراف بكيان المسلمين، وكان صلح الحديبية الذي اعترفت فيه قريش بالمسلمين كياناً مستقلاً، وتعهدت بالكفّ عن محاربتهم عشر سنوات بأيّ وسيلة من وسائل

=

محمد فقد تحقق المطلوب، وإن انتصر محمد فلا تخذلكم قريش وغطفان وتفرّ عنكم بسبب الرهائن، فأعجبت قريظة بالرأي، ثم ذهب إلى قريش وغطفان وأخبرهم بأن بني قريظة قد تحالفوا مع محمد سراً ووعدوه بتقديم أعيانكم له ليقتلهم، فإن اشترطوا عليكم ذلك لا تقبلوا شرطهم، وعندما ذهبت قريش تفاوض بني قريظة طلبت قريظة الرهائن من قريش وغطفان، فحسبوا أن نعيم كان على حق، فوقعت الفتنة بينهم. انظر: ابن هشام، سيرة النبيﷺ، ج٣، ص٢٧٦-٢٧٩. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٦-٩٧.

(١) غطفان قبيلة عربية كبيرة، ولها بطون كثيرة من أشهرها: جذام وقيس عيلان، وترجع هذه القبيلة في أصولها إلى القبائل المضرية العدنانية، ومناطق نفوذها في أيام الرسول ﷺ تمتد في بلاد نجد من ناحية الشرق من المدينة المنورة (على بعد ١٠٠ كم تقريباً) إلى اليمامة وما بعد اليمامة، وفي بلاد الحجاز من شمال المدينة (على بعد ١٢٠ كم تقريباً) إلى مشارف بلاد الشام، غير أن الجزء الأكبر والأكثر قوة من القبيلة كان في المناطق النجدية، وجدير بالذكر أن بطون هذه القبيلة الموجودة اليوم في الجزيرة العربية تُعرف باسم (مُطير) وينتسب إليها المطيريون، ومناطق انتشارها في نجد ما بين بداية نجد على شرق المدينة المنورة إلى ساحل الخليج بدولة الكويت، وهي قبيلة ذات نفوذ في المملكة العربية السعودية. انظر: عبد الكريم السمعاني، الأنساب ج٤، ص٣٠٢. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥. موقع شبكة (ويكبيديا): wikipedia.org.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المحاربة[١].

وبمجرّد معاهدة قريش المسلمين خارت قوى القبائل العربية الأخرى تلقائياً، ولم تجرؤ قبيلة عربية من غطفان وغيرها أن تجرّ جيشاً على المسلمين في يثرب، ثم توجّه النبي ﷺ في العام السابع من الهجرة للقضاء على معقل الشرّ في ذلك الوقت، ألا وهم يهود خيبر الذين لم تزل أنشطتهم العدوانية تظهر بين الفينة والأخرى[٢]، فبعد سلسلة من التكتيكات السياسية المناسبة التي دبّت الضعف في الكيان اليهودي في خيبر[٣] جاءت معارك خيبر الفاصلة التي استأصلت شأفة اليهود النشطين ضد الإسلام[٤]،

(١) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٤١٦-٤١٨. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٩٧. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٢٢-١٢٣.

(٢) ومن ذلك، أن أبا رافع بن أبي الحقيق زعيم اليهود في خيبر قد سار في غطفان ومن حوله من مشركي العرب يحرّضهم لحرب رسول الله ﷺ، وذلك في شهر رمضان سنة ست للهجرة. وأنه لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، أمّرت اليهود على أنفسهم أسيرم بن زارم، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ مرةً أخرى. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٩١-٩٢.

(٣) ومن هذه التكتيكات: أن ظل النبي ﷺ يبعث العيون إلى خيبر ونواحيها تأتيه بأخبارها، فما قامت فتنة بها؛ إلاّ وبعث النبي ﷺ بسرية للقضاء عليها في مهدها، كما فعل بأبي رافع بن أبي الحقيق اليهودي الذي كان زعيم خيبر، وبدأ يجمع القبائل العربية لمهاجمة المدينة، فأسرع رسول الله ﷺ بإرسال عبد بن عتيك رضي الله عنه ومعه أربعة من الصحابة إلى خيبر ليقتلوه، فقتلوه بحيلة ورجعوا المدينة، ثم حدث شبيه هذا بالزعيم الثاني لليهود أسيرم بن زارم، ومن التكتيكات أيضاً، أنه ﷺ عندما أراد خيبر للمعركة الفاصلة عسكر عند الرجيع، وهي منطقة بين خيبر وقبائل غطفان، وذلك حتى يمنع غطفان من إمداد يهود خيبر، ثم تقدّم إلى خيبر، فلم يهاجم قلعة خيبر مباشرةً، بل شرع بالقلاع المحيطة بها يفتح قلعةً قلعة، حتى إذا وقف على أبواب خيبر لم يكن لليهود أي أمل في المدد أو الصمود. انظر: المصدر السابق، بالإضافة إلى: ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٤٣٧-٤٣٩. وانظر كذلك: نثار أحمد، نشوء وارتقاء الدولة في العهد النبوي، ص١٤٥-١٤٦.

(٤) وكانت الغزوة في شهر محرم سنة سبع من الهجرة، وفتحت قلعة خيبر المعروفة اليوم (وهي غير قلعتي الوطيح والسلالم) بعد حصار دام قرابة شهر على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه. الطبقات الكبرى ج٢/ص١٠٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حتى لم يكن من غيرهم من اليهود إلاّ الاستسلام والإسراع في موادعة النبي ﷺ [١].

وقد جاءت جميع هذه الأحداث ضمن خطة الدفاع الإستراتيجية التي وضعها الرسول ﷺ بعد أن فاجأته العرب واليهود بجيش متحالف يريد القضاء على عاصمة الإسلام في غزوة الأحزاب، وبما أنّ «المؤمن لا يُلدغ من جُحرٍ مرتين»[٢] فإنّ هذه الإستراتيجية كان لا بدّ لها أن ترى النور وتكون موضع التنفيذ خلال سنتين من تلك الحملة التي لو لا فضل الله لكانت ضربة قاضية على المسلمين.

٢- الأخذ في توسيع نطاق الدولة الإسلامية إلى خارج حدود المدينة المنورة، وكانت الخطوة الأولى لهذا التوسّع هي غزوة خيبر وفتْحها بعد عام وشهرين من غزوة الأحزاب، فقد قضى رسول الله ﷺ على رؤساء اليهود في خيبر وسبى نساءهم وذراريهم[٣]، وأذن لأهل خيبر الآخرين ولأهل المناطق

(١) فقد بادر أهل فدك بالصلح ومعاهدة المسلمين فور سماعهم نبأ سقوط خيبر. انظر: ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٤٤٩-٤٥٠. ثم فعل أهل تيماء نفس فعلتهم. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٤٨. وانظر كذلك: نثار أحمد، نشوء وارتقاء الدولة في العهد النبوي، ص١٤٦.

(٢) حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه، ونصه: « لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ من جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ ». صحيح البخاري، ج٥، ص٢٢٧١. صحيح مسلم، ج٤، ص٢٢٩٥.

(٣) فقد برز بعض قادة اليهود - المشهورون بالفروسية - لجيش الإسلام أثناء حصار الرسول ﷺ وأصحابه لحصونهم، فبارزهم أصحاب رسول الله ﷺ وقتلوهم، ومن هؤلاء: مَرْحب بن الحارث، وياسر بن الحارث، وأما كنانة بن الربيع؛ فقد تم القبض عليه بعد أن صالح الرسول ﷺ أهل خيبر على أن لا يخفوا عنه شيئاً، فأخفى كنانة كنز بني النضير فتمّ قتله، كما تمّ قتل بعض اليهود الذين قاوموا الحملة الإسلامية حين تصدى علي رضي الله عنه لفتح حصن من حصون خيبر، وحين تصدى أهل وادي القرى للجيش الإسلامي، وأما بقية اليهود وذراريهم فقد أُعطوا الأمان على أموالهم وأنفسهم. انظر عن مقتل رؤسائهم: ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٤٣٨ (فتح حصن أبي الحقيق عنوةً)، ص٤٤٢-٤٤٤ (مقتل مرحب)، ص٤٤٤ (مقتل ياسر)، ص٤٤٨-٤٤٩ (مقتل كنانة)، ص٤٤٦-٤٤٧ (قتال أهل حصن خيبر علياً). وانظر للصلح: المصدر السابق، ص٤٤٩-٤٥٠، وما بعدها.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المجاورة من فدك ووادي القرى وتيماء أن يبقوا في مزارعهم ويعملوا في أراضيهم على أن يدفعوا نصف ما يحصدونه إليه ﷺ في صورة خراج سنوي مدفوع للفاتحين[١]، وبهذه المعاملة ألحق الرسول ﷺ خيبر وما حولها بالدولة الإسلامية من الناحية السياسية والجغرافية[٢]، وكان ذلك أول توسّع في دولة الإسلام خارج حدود المدينة المنورة والمعروفة عند قاطني الجزيرة العربية وقتها باسم يثرب.

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ عندما همّ بأداء العمرة إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة في العام السادس من الهجرة - وصدّه المشركون من قريش عن عمرته مقابل صلح الحديبية -؛ كان قد أعلن الخبر في القبائل العربية المحيطة بالمدينة، وكان قد تبعه بعض الأعراب في خروجه إلى مكة لأداء العمرة[٣]، وهذه الاستجابة من بعض الأعراب تدلّ على إذعان هؤلاء الأعراب لأمر رسول الله ﷺ وخضوعهم لولاية المدينة، عاصمة الإسلام، غير أنّ هذا الخضوع لم يكن خضوعاً سياسياً ولا جغرافياً، إذ لم يتم إلحاق مناطق نفوذ هذه القبائل بالمدينة، ولم يتم تقسيم بعض أراضي تلك القبائل على أصحاب محمدﷺ، بينما تمّ ذلك في خيبر[٤]؛ إعلاناً صريحاً لضمّها إلى

(١) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٤٤٩-٥٠. البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٤٧-٤٨. المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ص٢٢٧.

(٢) فقد ثبت أنه ﷺ أرسل إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة يخرص عليهم ثمارها عند نضجها، وبعد استشهاده في مؤتة أرسل جبار بن صخر بن أمية – وقيل: أبا الهيثم بن التيهان - للمهمة، وهذا الأمر دليل واضح على خضوع المناطق للدولة الإسلامية سياسياً وجغرافياً. انظر: ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٤٧٤-٤٧٥. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٤٠-١٤١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١١٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص١٦٤.

(٤) انظر مقاسم خيبر بالتفصيل لدى: ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٣، ص٤٦٧-٤٨١. البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٣-٤٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المدينة وإلحاقها بدولة الإسلام.

٣- ظهور منصب إداري جديد بعد غزوة الأحزاب عُرف بمنصب العامل، أي: عامل رسول الله ﷺ، وهو شخص يبعثه الرسول ﷺ إلى الأراضي المفتوحة ليقوم بجمع الصدقات أو للقيام بدور الوالي أو القاضي، وأوّل عامل لرسول الله ﷺ أرسله لخرص ثمار الأرض المفتوحة (خيبر)؛ هو الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه [١]، ولم يكن لرسول الله ﷺ عمّال يبعثهم خارج المدينة يمثّلونه قبل ذلك، فقد اتخذ النبي ﷺ الصحابي فروة بن عمرو ليخرص ثمار أهل المدينة[٢] منذ أن وجبت زكاة الخارج من الأرض[٣]، ولكنّ دور هذا الصحابي كان قاصراً على المدينة فقط، ولم يكن إذ ذاك قد فتحت أراضٍ أخرى ملحقة بالمدينة.

وهذا المنصب قد أحدثه النبي ﷺ نظراً لتطورات الوضع التي شهدتها الدولة الإسلامية الوليدة بعد غزوة الأحزاب، وباتت المدينة المنورة عاصمةً معترفةً من العرب وغيرهم، فكان من البدهي أن يتم إحداث تطويرات إدارية تواكب الظروف الجديدة.

آراء المستشرقين في غزوة الأحزاب

تباينت آراء المستشرقين الذين عنوا بالسيرة النبوية الطاهرة في غزوة الأحزاب وما صاحبتها من الأحداث، فمنهم من أورد الحقائق التاريخية، ومنهم من أخفاها، ومنهم من حاول تفسير بعض الأحداث بما يتفق ورؤيته التي كوّنها عن الأحداث تحت مؤثرات مختلفة،

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٢٦. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٤٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣٦٤.

(٣) وقد وجبت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة النبوية. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢٣٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفيما يلي يورد الباحث آراء المستشرقين حسب التسلسل الزمني لأحداث غزوة الأحزاب مع الوقوف عند بعض النقاط لإلقاء مزيد من الضوء عليها:

أولاً: أسباب الغزوة:

صرّحت المستشرقة الإيطالية فرجينا فكا Virginia Vacca[١] أن يهود بني النضير الذين تمّ نفيهم إلى خيبر كانوا شركاء قريش في غزوهم ليثرب عام ٥هـ[٢]، وذكر المستشرق البريطاني مونتغمري واط Montgomery Watt[٣] أن بني النضير تبعت قريشاً في إقامة التحالف العربي ضد المسلمين عام ٥هـ، وأنها ألّبت غطفان عليهم بإغرائها بجزء من ثمار خيبر[٤]، ولكنّ المستشرق الهولندي فنسنك Wensinck[٥] سكت عن ذكر هذا الدور لبني النضير عند حديثه عن غزوة الخندق في دائرة المعارف الإسلامية، بينما كان يُنتظر منه تقديم وجهة نظره بهذا الصدد في مقالته تلك.

ثانياً: حفر الخندق:

تحدّث فنسنك Wensinck بشيء من التفصيل عن الخندق الذي قام الرسول ﷺ وأصحابه بضربه حول المدينة، فحاول تحديد مسار هذا

---

(١) ولدت الدكتورة فكا عام ١٨٩١ بروما Roma، وأقامت فترة في القاهرة، عنيت بمختلف الموضوعات التاريخية التي لها صلة بالإسلام وشعوبه. انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج١، ص٤٤٤-٤٤٥.

(٢).Encyclopedia of Islam, Nadir, vol.VI, peg. ٨٣١

(٣) ولد الدكتور واط في أدنبره Edimbourg عام ١٩٠٩، تخرج في جامعة أوكسفورد Oxford الشهيرة، عني بالعقيدة الإسلامية والسيرة النبوية. انظر: ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، ص٥٣.

(٤) محمد في المدينة، ترجمة شعبان بركات، ص٥٤.

(٥) ولد الدكتور أيه – جيه .A. J عام ١٨٨٢، وتخصص في أديان الشرق، وعين أستاذاً للعبرية في جامعة ليدن Leiden، ومن أهمّ أعماله إشرافه على الطبعة الأولى من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وتحرير الطبعة الأولى لدائرة المعارف الإسلامية. نجيب العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص٣١٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الخندق، وإن لم يحالفه الحظ في هذا التحديد[١]، وذكر مشاركة النبي ﷺ في حفره، ثم ذكر معجزة الكدية بصيغة التمريض (يقال)، كما ذكر أنّ العاملين على حفر الخندق كانوا يرتجزون ببعض الأراجيز، وأن النبي ﷺ دعا للأنصار والمهاجرين من خلال هذه الأراجيز[٢].

غير أن فنسنك Wensinck - وعلى الرغم من كتابته عن مادة غزوة الخندق -؛ لم يُشر إلى أصناف المشركين الذين تألّف منهم الأحزاب، ولم يشر إلى موقف بني قريظة ولا موقف المسلمين منهم بعد الغزوة، كما لم يتناول ذكر النتيجة التي انتهى إليها حصار المدينة - كما يحلو للمستشرقين تسميته -.

وإن كان فنسنك Wensinck قد فاته ذكر هذه الأحداث المشار إليها؛ فإنّ مونتغمري واط Montgomery Watt أيضاً لم يتناول ذكر هذه الأحداث ولا التي ذكرها فنسنك Wensinck، على الرغم من كتابته بالتفصيل عن غزوة الأحزاب في ثنايا كتابه الشهير عن العهد المدني للسيرة النبوية العطرة والموسوم بـ « محمد في المدينة »، وهذا لا شكّ من المآخذ التي يؤاخذ عليها المستشرق.

ثالثاً: الأحداث أثناء الغزوة:

إنّ أحداً من المستشرقين الذين تطرّقت الدراسة لكتاباتهم عن الغزوة؛ لم يتناول أيّ ذكر للأحداث التي وقعت أثناء حصار المدينة – على حدّ تعبير المستشرقين – عدا ما كان من أمر بني قريظة، اللهم إلاّ المستشرق

(١) فقد ذهب المستشرق إلى أن بداية الخندق كان من السوق ومن التل المعروف بالسَّلْع، وامتدّ إلى الشمال والشمال الشرقي. انظر: دائرة المعارف الإسلامية، الخندق، ترجمة: إبراهيم خورشيد، ج٨، ص٤٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦٣-٤٦٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

السويدي زيترشتاين Zettersteen[١] الذي أشار إلى تفاوض النبي ﷺ مع غطفان، وإصابة سعد بن معاذ رضي الله عنه برمية سهم لأحد من مشركي قريش[٢].

رابعاً: نهاية الغزوة:

اعتقد معظم المستشرقين أنّ نهاية معركة الخندق لم تكن حاسمة، فهم يذكرون رحيل قريش وحلفائها إلى ديارهم من غير أي تعليق أو إيضاح[٣]، أو يسكتون عن ذكر النهاية التي أسفرت عنها الغزوة، وكأن لم يكن هناك شيء يُذكر[٤]!، ومن بين المستشرقين الذين تناولت هذه الدراسة كتاباتهم؛ تفرّد المستشرق مونتغمري واط Montgomery Watt بوصف نهاية غزوة الأحزاب بالفشل الذريع لقريش، غير أنه أرجع هذا الفشل إلى عدم توفّق صناديد قريش إلى اختيار وقت مناسب للحرب، حيث جاءت الغزوة عقب موسم الحصاد في فصل الشتاء القارس[٥]، ولم يعزُ هذا الفشل إلى الريح التي خلعت خيام المشركين وأطفأت نيرانهم وقلّبت قدورهم.

---

(١) ولد الدكتور كارل ويلهيلم زيترشتاين .Karl Vilhelm Z عام ١٨٦٦م، تخصص في النحو والصرف العربيين، وصار أستاذاً في السامية، عني بالأدب العربي والتاريخ الإسلامي، وقام بترجمة معاني القرآن إلى اللغة السويدية. نجيب العقيقي، المستشرقون، ج٣، ص٢٨-٣٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، سعد بن معاذ، ترجمة: إبراهيم خورشيد، ج١١، ص٤١٠. قلت: وكان الذي رمى سعداً يوم الخندق هو رجل من قريش يسمى ابن العرقة. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٦.

(٣) كما فعل المستشرق الأمريكي وول ديورنت Wall Durant في كتابه الشهير (قصة الحضارة)، انظر: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج١٣، ص٣٩.

(٤) كما فعل كل من فنسنك وفكا. انظر: دائرة المعارف الإسلامية، الخندق، ج٨، ص٤٦٤. Encyclopedia of Islam, Kuraiza, vol. IV, peg.١١٢٨.

(٥) محمد في المدينة، ص٥٧، ٥٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خامساً: موقف بني قريظة في الغزوة:

كان هذا الجانب من غزوة الأحزاب هو أكثر الجوانب عنايةً من قبل أساتذة الغرب، ففي حين نجد المستشرقة الإيطالية فكّا Vacca والمستشرق الأمريكي ديورانت Durant[١] يصرّحان – وبكل جرأة – أنّ يهود بني قريظة قد خانوا محمداً وأصحابه أثناء الحصار، وأنهم استعدّوا لمهاجمة المسلمين من خلفهم[٢]، وأنّ هذه الخيانة قد حصلت رغم دخول قريظة في معاهدة خطية مع محمد [ﷺ] فور هجرته إلى المدينة[٣]؛ نجد على الطرف الآخر مستشرقين من أمثال الألماني كارل بروكلمان Carl Brockelmann[٤] والسويدي زيترشتاين Zettersteen والبريطاني مونتغمري واط Montgomery Watt يصفون موقف قريظة أثناء الحصار بالغموض تارةً[٥] وبالحياد تارةً أخرى[٦]، ضاربين في هذا

---

(١) الدكتور وول ديورانت، أستاذ جامعي أمريكي معاصر، اشتهر بكتابه الضخم (قصة الحضارة) الذي يسرد – وفق وجهة نظره – بداية الحضارة الإنسانية وتطورها عبر القرون السحيقة من تاريخ البشرية، ومن الجدير بالذكر أن ذكر المستشرق للنبي محمد ﷺ هو من قبيل ذكر مصلح اجتماعي عظيم، وقد صنفه المستشرق من أعظم المصلحين في تاريخ البشرية، غير أنه جانبه الصواب في بعض تفسيراته لبعض أحداث السيرة المطهرة نتيجة عدم سعة اطلاعه فيها. الباحث.

(٢) انظر: Encyclopedia of Islam, Kuraiza, vol. IV, peg.١١٢٨، حيث ذكرت المستشرقة فكا خطورة موقف بني قريظة، وآثارها السلبية المحرجة على المسلمين، وأنّ قريظة كانت تستعدّ بالفعل لمهاجمة المسلمين من خلفهم. وانظر: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج١٣، ص٣٨، ذكر فيها المستشرق أن بني قريظة قد ساعدوا قريشاً مساعدة جديةً.

(٣) وقد انفردت المستشرقة فكا بهذه الإضافة من بين سائر المستشرقين. انظر: Encyclopedia of Islam, Kuraiza, vol. IV, peg. ١١٢٨.

(٤) ولد الدكتور بروكلمان في روستوك بألمانيا عام ١٨٦٨، وتخرج باللغات السامية، وتقلد مناصب علمية مرموقة، وعدّ علماً من أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، اهتمّ بالإضافة إلى الأدب العربي بالتاريخ الإسلامي. نجيب العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص٤٢٤-٤٣٠.

(٥) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٥٣.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، زيترشتاين، سعد بن معاذ، ترجمة: خورشيد، ج١١، ص٤١٠. مونتغمري واط، محمد في المدينة، ص٥٥-٥٦، حيث يصرح فيها بأن: قريظة حاولت البقاء على الحياد... وأن قريشاً حاولت =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الصدد بكل الروايات التاريخية التي تتحدّث عن ثبوت خيانتهم عرض الحائط، بل إنّ بعضاً من هؤلاء المستشرقين يبلغ به تعاطفه مع بني قريظة إلى حدّ زعم نسج مؤامرة ضدهم من قبل المسلمين[١].

والمشكلة لا تكمن في وصف موقف يهود بني قريظة بالحياد أو الغموض أثناء دوران رحى الحرب في غزوة الأحزاب، ولكنها تكمن وتبرز عندما يصف المستشرق موقف بني قريظة بالحياد؛ ثم يسطّر محاصرة المسلمين لهم بعد الغزوة وإنزالهم من حصونهم على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه ومصيرهم الذي لاقوه جراء حكمه.

فجميع المستشرقين الذين تناولت الدراسة كتاباتهم عن غزوة الأحزاب – باستثناء فنسنك Wensinck – ذكروا مصير بني قريظة بعد غزوة الأحزاب، فذكروا محاصرة الرسول ﷺ وأصحابه لهم، واستسلام قريظة بدون شروط، وقيام سعد بن معاذ رضي الله عنه بالحكم فيهم، فأمّا فكا Vacca وديورانت Durant؛ فقد ذكرا سلفاً خيانة بني قريظة للمسلمين أثناء الحصار، وبإيضاحهم هذه النقطة؛ لم يُسبّبا أي إشكالية في الموضوع، بل إن ديورانت Durant أضاف أن الرسول ﷺ خيّرهم بين الإسلام والموت تأكيداً لسلامة موقف المسلمين[٢].

=

إقناع قريظة بالانقلاب على محمد، ولكن هذه المفاوضات لم تنته إلى شيء، وفي ص٣٢٦ يقول: ظلت قريظة على الحياد العسكري طوال الحصار، لكنها قامت بمفاوضات مع أعداء المسلمين، ولو أنها وثقت من قريش لانقلبت على محمد.

(١) لاحظ قول مونتغمري واط: « كانت مؤامرة حول بني قريظة »، ص٥٨، وأوصلْه بما بعده من ذكر قدوم حيي بن أخطب على قريظة، ثم مرور نعيم بن مسعود عليهم، ثم الإصرار على أن مفاوضاتهم مع قريش لم تنته إلى شيء! تجدْ أنّ مونتغمري نفسه يريد أن ينسج مؤامرة ضدّ موقف المسلمين من قريظة.

(٢) لم أعثر على هذا التخيير في مصدر تاريخي إسلامي بهذه الوضاحة، ولكن الأمر يمكن الاستدلال عليه من خلال إسلام عدد من القرظيين بعد استسلامهم، وعدم تعرّضهم بذلك للعقوبة التي شملت البقية الذين لم =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأما المستشرقون الآخرون فقد نفوا عن بني قريظة الخيانة والغدر، وأثبتوا نكال المسلمين بهم[١]، وبذلك أثاروا شبهة عظيمة على الرسول ﷺ وأصحابه، وأرادوا أن يظن الجاهل بهم أنهم تآمروا على يهود بني قريظة وتخلصوا منهم دون حُجة، ولا يشفع للمستشرق البريطاني مونتغمري واط Montgomery Watt تفنيده للمزاعم الأوربية الحديثة القائلة بأن محمداً ﷺ وأصحابه انتهجوا سياسةً متعصبةً ضد اليهود بسبب طردهم للقبائل اليهودية من أراضيهم بيثرب وقتلهم لرجال بني قريظة[٢]، ومهما حاول المستشرق إظهار نفسه في صورة مدافع عن المسلمين في عهد النبوة بتفنيد هذه المقولة الأوربية عن طريق إثبات وجودٍ يهوديٍ بالمدينة في صورة أفراد وأُسَر بعد مصير بني قريظة وحتى وفاة محمد ﷺ[٣]؛ فإنّ مواقف المستشرق نفسه فيما سبق من صفحات كتابه تكشف عن تعاطفه مع اليهود في يثرب وتشكيكه في حق المسلمين في تصفيتهم باعتبارهم مرتكبي الخيانة العظمى في حق الدولة التي كان رسول الله ﷺ على رأسها وكان اليهود مواطنين داخل حدودها السياسية والجغرافية.

والحقيقة أنّ عدم إشارة هؤلاء المستشرقين إلى المعاهدة الخطية التي أبرمها رسول الله ﷺ مع يهود يثرب فور هجرته، والتي بموجبها اعتُبر اليهود من مواطني دولة يثرب الإسلامية[٤]، ثم إعراضهم عن ذكر نقض قريظة

=

يسلموا. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٠٣.

(١) انظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٥٣. دائرة المعارف الإسلامية، سعد بن معاذ، ترجمة: إبراهيم خورشيد، ج١١، ص٤١٠. مونتغمري، محمد في المدينة، ص٣٢٦.

(٢) محمد في المدينة، ص٣٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص٣٣٠.

(٤) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج٢، ص١٣٠-١٣٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٢٢٤-٢٢٦. وجاء في هذه =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لهذه المعاهدة أثناء مواجهة المسلمين أعداءهم في غزوة الأحزاب وتصريحهم بالتعاون مع الأحزاب ضد المسلمين[١]، وبعد هذا وذاك اقتصار هؤلاء المستشرقين على ذكر قيام المسلمين بمحاصرة بني قريظة وقتل محاربيهم؛ يدلّ صريحاً على أنّهم لا يريدون نقل الصورة – كما هي – عن القضية، وأنهم بذلك يبتعدون عن المنهج العلمي وعن الموضوعية التي تُرجى من أمثال أساتذة فضلاء لهم باع في دراسة التاريخ الإسلامي، وبذلك يعرّض هؤلاء أنفسهم للنقد، وكتاباتهم للرفض من قبَل كل باحث علمي منصف.

سادساً: آثار الغزوة في نظر المستشرقين:

ممّا سبق ذكره يظهر أنّ المستشرقين لم يتحدّثوا في كتاباتهم عن غزوة الأحزاب عن النتائج الإيجابية التي أسفرت عنها الغزوة؛ لأنّهم لم يعترفوا – أصلاً – بانتصار المسلمين فيها – ولو قرّر بعضهم فشل قريش وأعوانها، فالمستشرقون يعتبرون الغزوة – أو حصار المدينة كما يسمونها – وما حصل فيها من موقف بني قريظة – من الحياد أو الغدر – مسوّغاً لنكال المسلمين بهذه الأقلية بعد الفراغ من قريش وحلفائها مباشرةً، وذلك من أجل استئصال شأفة آخر المعاقل اليهودية في يثرب، ولترسيخ دعائم الدين الجديد في شبه الجزيرة العربية[٢]، وهذا هو الأثر الديني والسياسي

= المعاهدة: « وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين » ثم جاء ذكر جميع اليهود وذكر حقوقهم معطوفاً على يهود بني عوف.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٣.

(٢) وهذه النتيجة ظاهرة من خلال ما تم ذكره من مواقف المستشرقين في الصفحات السابقة من الدراسة، ويتضح ذلك جلياً من خلال ما كتبه منتغمري واط Montgomery Watt: « وقد هاجم محمد بني قريظة بعد التخلص من أعدائه؛ ليظهر أن الدولة الإسلامية الفتية لا تسمح بمثل هذا الموقف المشبوه ». محمد في المدينة، ص٣٢٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الوحيد الذي ترتب على حصار المدينة من وجهة نظر أساتذة الغرب[١].

خاتمة

لقد توصّل الباحث من خلال دراسة الآثار الدينية والسياسية لغزوة الأحزاب إلى **النتائج** التالية:

- لقد جاءت غزوة الأحزاب فاصلةً بين تصعيد قوى الباطل نشاطها العدواني ضدّ الإسلام وبين صعود نجم الإسلام يوماً بعد يوم، فكانت هذه الغزوة إيذاناً بانحسار قوى الباطل، فظهر الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.
- وقد كانت حملة الأحزاب على المسلمين في عقر دارهم حملةً قويةً عنيدةً، عسكرت قرابة شهر حول المدينة، ولم تنخفض معنوياتها ولم تحبط عزائمها، ولكن حصل لها – ودون سابق إنذار – ما لم يكن في حسبان كهانها ولا جالت في خواطر دهاتها، فقد تصدّت قوى غيبية لهذه الجحافل في ليلةٍ واحدةٍ فقط، فاستأصلتها من قواعدها، فولّت هاربةً إلى حيث أتت منه، فكان ذلك هو السبب الأساس في انكسار شوكتها، وإيقان عقلائها بأنّ محمداً رسولٌ ببرهانٍ فمَن ذا يقاومه[٢]!!

---

(١) التزم الباحث بالموضوعية والمنهجية في عرضه مواقف المستشرقين من غزوة الأحزاب، وأبرز الجانبين الإيجابي والسلبي في مواقفهم، ومن أجل الوصول لهذا الهدف اختار التنويع من حيث توزّع المستشرقين الجغرافي، فاختار مستشرقين من مختلف البلاد الغربية، والتي في الوقت نفسه تمثل مدارس قائمة في الاستشراق.

(٢) هذا جزء من الأبيات التي أنشدها سراقة بن مالك لأبي جهل بن هشام عندما رأى معجزات النبي ﷺ وهو في بداية هجرته من مكة، إذ قال:

أبا حكم والله لو كنتَ شاهداً لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمتَ ولم تشكك بأن محمداً رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٤١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

• وبانكسار شوكة الأحزاب، وهم ألدّ أعداء الملة الإسلامية، أصبحت الساحة خاليةً للمسلمين، فانطلقوا يضعون الإستراتيجية المستقبلية للإسلام في جوّ هادئ نسبياً، فقاموا بأفعال مدروسة؛ كان ردّها من جانب أعدائهم طبقاً لما أرادوا، فتحققت لهم النتائج التي كانوا يسعون لتحقيقها في ظلّ تخبّط قريش وارتباك اليهود من جراء ما أصابهم من النكسة في غزوة الأحزاب، وقبل أن يستعيد الباطل أنفاسه؛ كان الإسلام قد أعلى رايته على بنيانه خفاقةً.

• وهكذا أُرغمت قوى الباطل على الاعتراف بالإسلام، وبالمدينة بصفتها دولة الإسلام، كما أرغمت بعضٌ منها على دفع الخراج لهذه الدولة والاعتراف بسيادتها على أراضيها، ممّا هيّأ الأجواء لمزيد من الفتوحات وتوسّع الدولة، واكتسابها المزيد من القوة، وانتظام أمورها الإدارية والسياسية، حتى باتت دولةً بكل ما تعنيه كلمة دولة، سوى أنّ زعيمها لم يزل رسول الله يوحَى إليه، ولم ينقلب ملِكاً يبتغي حطام الدنيا، ﷺ.

• ولهذا، فإنّ أهم غزوة في تاريخ الإسلام كانت غزوة بدر الكبرى، التي فرّقت بين الحق والباطل، وأتت غزوة الخندق ثانيةً في الأهمية، لأنها كسرت شوكة الباطل وثبّتت دعائم الإسلام كدين ودولة، ولم يأت صلح الحديبية – على عظم مكانته –، ولا فتح مكة – على جلالة قدره - إلاّ نتيجةً من نتائج غزوة الأحزاب، ولهذا ظل رسول الله ﷺ يردّد إلى آخر عمره بعدها: « وهزم الأحزاب وحده... »[1].

• وأخيراً، فقد تباينت آراء المستشرقين الذين عنوا بالسيرة النبوية الطاهرة في غزوة الأحزاب وما صاحبتها من الأحداث، فمنهم من أورد

(١) البخاري، الجامع الصحيح، ج٥، ص٢٣٤٦

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحقائق التاريخية، ومنهم من أخفاها، ومنهم من حاول تفسير بعض الأحداث بما يتفق ورؤيته التي كونها عن الأحداث تحت مؤثرات مختلفة، ولأغراض مختلفة.

ولهذه الأهمية الكبرى لغزوة الأحزاب؛ **أوصي** زملائي الباحثين أن يدرسوا المزيد من جوانبها المغمورة، وأن يستخلصوا منها دروساً وعبراً كثيرة فاتت الباحث أثناء هذه الدراسة المتواضعة، أسأل الله تعالى لي ولهم التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- ابن الأثير: أبو الحسن بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢: ١٤١٥هـ.
- البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط٢: ١٤٠٧هـ.
- بروكلمان – كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١: ١٩٨٤.
- البلاذري: أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٠٣هـ.
- البيهقي: الإمام أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ط: ١٤١٤هـ.
- البيهقي: الإمام أحمد بن الحسين، معرفة السنن والآثار، تحقيق: سيد كسروي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط (بدون).
- ابن تغري بردي: جمال الدين الأتابكي، النجوم الزاهرة، القاهرة: وزارة الثقافة، ط (بدون).
- جحا - ميشال.، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- الحاكم النيسابوري: الإمام محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١١هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- ابن حبان: محمد التميمي البستي، الصحيح، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢: ١٤١٤هـ.
- ابن حجر: الإمام أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط١: ١٤١٢هـ.
- الحموي: ياقوت، معجم البلدان، بيروت: دار الفكر، ط١: ١٤٠٠هـ.
- خليفة بن خياط العصفري، كتاب التاريخ، تحقيق: أكرم العمري، دمشق: دار القلم، ط٢: ١٣٩٧هـ.
- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبدالحميد يونس، بيروت: دار الفكر.
- الدجاني: زاهية راغب، غزوة الخندق - انكفاء الشرك في وجه الحق، بيروت: دار الكتاب العربي، ط: ١٤١٧هـ.
- ديورانت – وول، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، بيروت: دار الجيل، ط: ١٤٠٨هـ.
- الذهبي: الإمام محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب أرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩: ١٤١٣هـ.
- السحار: عبد الحميد جودة، غزوة الخندق، القاهرة: مكتبه مصر.
- ابن سعد: محمد الزهري، الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، ط (بدون).
- السمعاني: عبد الكريم بن محمد، الأنساب، تحقيق: عبد الله البارودي، بيروت: دار الفكر، ط١: ١٩٩٨م.
- السيوطي: الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء،

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تحقيق: محمد محيي الدين، القاهرة: مطبعة السعادة، ط١: ١٣٧١هـ.

- الطبري: الإمام محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣: ١٤١١هـ.
- الطبري: الإمام محمد بن جرير، تهذيب الآثار، مسند علي رضي الله عنه، تحقيق: محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ط (بدون).
- العقيقي – نجيب، المستشرقون، القاهرة: دار المعارف، ط٤: ١٩٨٠.
- القرطبي: الإمام محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: مؤسسة مناهل العرفان، ط (بدون).
- ابن كثير: الحافظ إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، ط (بدون).
- ابن كثير: الحافظ إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر، ط: ١٤٠١هـ.
- مسلم: الإمام مسلم بن حجاج القشيري، الصحيح الجامع، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث، ط (بدون).
- المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ط (بدون).
- نثار أحمد، نشوء وارتقاء الدولة في العهد النبوي، كراتشي: نقوش رسول نمبر، ط١: ١٣٩٦هـ.
- واط - مونتغمري، محمد في المدينة، ترجمة: شعبان بركات، صيدا: المطبعة العصرية، ط (بدون).
- الواقدي - الإمام محمد بن عمر، كتاب المغازي، تحقيق: مارسيدن جونز، انتشارات إسماعليان، طهران، ط (بدون).

- ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، مراجعة: محمد خليل هراس، القاهرة: مكتبة الجمهورية، ط (بدون).
- هيئة دائرة المعارف الإسلامية، دائرة المعارف الإسلامية باللغة الأردية، لاهور: جامعة بنجاب، ط١: ١٤١٠هـ.

المجلات:

- حسنة: عمر عبيد، دروس من غزوة الخندق، مجلة حضارة الإسلام، ٨-٩ شوال- ذوالقعده ١٣٩٩هـ أيلول- تشرين ١ ١٩٧٩.
- الحميميدي: محمد علي ، غزوة الخندق، مجلة الجندي المسلم، ٦٣ ربيع الأول ١٤١٢هـ سبتمبر ١٩٩١م.
- عبد المنعم: محمد فيصل ، المفاجأة في غزوة الخندق، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، ٣ صفر ١٤٠٤هـ.
- قصة: عبد الباقي علي ، الإستراتيجية الإسلامية في غزوة الخندق والكتابة التي وجدت على جبل سلع، دارة الملك عبد العزيز، ١ربيع الأول ١٣٩٧هـ فبراير ١٩٧٧.
- كاخيا: إبراهيم إسماعيل ، غزوة الخندق، مجلة الحرس الوطني، ١٤-١٧ رمضان ١٤١٧ يناير ١٩٩٧م.
- محفوظ: محمد جمال الدين ، غزوة الخندق: الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب، مجلة الأزهر، ١٥-١٦ رمضان ١٣٧٤هـ إبريل ١٩٥٥م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشبكة العالمية:

- موقع شبكة (ويكبيديا): wikipedia.org.

المراجع الإجنبية:

- E.J.Brill, The Encyclopaedia of Islam , Leiden , 1931

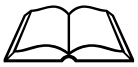

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة